شعراء عرفهم أشعارهم

عدي بن زيد العبادي - ٣

للاستاذ محمود عبد العزيز محرم

بين عدي بن زيد وعدي بن مرينا - الأسباب التي أدت إلى وقيعة النعمان بعدي - شعر عدي بن زيد فيما قدم للنعمان من خير، والصلة بينهما، وأعدائه

وثمة شخص آخر لم أقدمه إليك، وهو عدي بن مرينا، من أشراف الحيرة، وأظنك تذكر أنني حدثتك أن المنذر قد دفع بابنه النعمان إلى عدي بن زيد، ودفع بابنه الأسود إلى بني مرينا. وبنو مرينا هؤلاء منهم عدي. وعدي بن مرينا لم يعجبه ما فعل عدي بن زيد؛ فقد كان يرى الأسود أفضل وأوفق لأن يكون ملك الحيرة خلفاً لأبيه المنذر، ولكن عدي بن زيد كبته وغلبه على أمره وتدبيره؛ فاختار كسرى النعمان ولم يختر الأسود.

ثم إن عدي بن زيد صنع طعاماً في بيعة، وأرسل إلى عدي ابن مرينا أن ائتني بمن أحببت فإن لي حاجة، فأتى في ناس فتغدوا في البيعة؛ فقال عدي بن زيد لابن مرينا: يا عدي، إن أحق من عرف الحق ثم لم يلم عليه من كان مثلك، وإني قد عرفت أن صاحبك الأسود بن المنذر كان أحب إليك أن يملك من صاحبي النعمان، فلا تلمني على شيء كنت على مثله، وأنا لا أحب أن تحقد علي شيئاً لو قدرت عليه ركبته، وأنا أحب أن تعطيني من نفسك ما أعطيتك من نفسي، فإن نصيبي في هذا الأمر ليس بأوفر من نصيبك. وقام إلى البيعة، فحلف ألا يهجوه أبداً، ولا يبقيه قائلة، ولا يزوى عنه خيراً أبداً. فلما فرغ عدي بن زيد، قام عدي بن مرينا، فحلف مثل يمينه: ألا يزال يهجوه أبداً، ويبقيه القوائل ما بقي. ثم قال:

ألا أبلغ عديا عن عدي ... فلا تجزع وإن رثت (١) قواكا
هيا كانا تبر لغير فقر ... لتحمد أو يتم بها غناكا
فإن تظفر فلم تظفر حميداً ... وإن تعطب فلا يبعد (٢) سواكا
ندمت ندامة الكسعي (٣) لما ... رأت عيناك ما صنعت يداكا

(١) ضعفت (٢) فلا يهلك

وتقرب عدي بن مرينا من النعمان بالهدايا وغيرها، حتى أصبح من خاصته، وأصبح له بطانة يثق فيهم ويتشيعون له، وكلما عرض ذكر عدي بن زيد دسوا له قليلا أو كثيراً لدى الملك النعمان، وبلغ بهم أن يدسوا على عدي بن زيد أنه يقول إن الملك عامله وأنه هو الذي ولاه ما ولاه.

وحقيق بدسيسة كهذه أن تؤتي أكلها؛ فالنعمان ريب عدي لا شك، وهو صنيعته لا شك، وبيت عدي مناوح لبيت النعمان لا شك؛ إذاً فعدي رجل يخاف ويخشى، وقد يقول مثل ما قال، وهي كلمة ثقيلة على أذن الملوك وإن كانوا يعرفون أنها حق لا مرية فيه

وقد ذكر أن عديا صنع ذات يوم طعاماً للنعمان، وسأله أن يركب إليه ويتغدى عنده هو وأصحابه، فركب النعمان إليه، فاعترضه عدي بن مرينا، فاحتبسه حتى تغدى عنده هو وأصحابه، وشربوا حتى ثملوا. ثم ركب النعمان إلى عدي بن زيد ولا فضل فيه، فأحفظ هذا عديا، وظهرت الكراهة في وجهه، فقام النعمان فركب ورجع إلى منزله؛ فقال عدي بن زيد في ذلك:

أحسنت مجلسنا وحسن حديثنا يودي (٤) بمالك
فالمال والأهلون مصرعة لأمرك أو نكالك
ما تأمرن فينا فأمرك في يمينك أو شمالك (٥)

وعلى هذا فعدي بن زيد هو الذي شب بهند وتغزل فيها، وهو الذي تزوجها على غير رغبة أبيها، وهو يزعم أن الملك عامله وأنه ولاه ما ولاه، ثم أخيراً يعتب على الملك ولا يرضى أن احتبسه أحد رعيته وأخره عنه، حتى يرجع الملك من لدنه غاضبا

وفي يوم شرب النعمان، فأرسل إلى عدي بن زيد فأبى أن يأتيه، ثم أعاد رسوله فأبى أن يأتيه، فغضب وأمر بعدي فسحب من منزله حتى انتهى به إليه، فحبسه في الصنين (٦)، وبلج في حبسه

(٣) الكسعي رجل من كسع، حي من ليس هيلان، وهو رام رمى بعد ما أظلم الليل عيرا فأصابه، وظن أنه أخطأه، فكسر قوسه، ثم ندم من الغد حين نظر إلى العير مقتولا وسهمه فيه، فصار مثلا لكل نادم على فعل فعله

(٤) يذهب به ويفنيه (٥) أنت تحكم فينا كما تحكم في إحدى يديك أو كلتيهما (٦) بلد كان بظاهر الكوفة من منازل المنذر

وقد مكث عدى فى السجن مدة طويلة . وأرسل أشعاراً تصف ما يلاقيه فى سجنه من أذى وضر ، وأنه ما كان يليق مجازاته بمثل هذا ، وأنه عومل معاملة الأعداء ، مع إخلاصه للملك وتفانيه فى خدمته ، ومع أنه رمى عن الملك وناضح عنه . وذكر فيها مصاهرته الملك وزواجه من أهل بيته . وذكر فيها أنه دبر له حتى فاز بالتاج وملك الحيرة . ولكن الأعداء قد قلبوه ، وعملوا عملهم ، وصرعوه

ليت شعرى عن الهمام ويأتيك بخبر (٧) الأنباء عطف السؤال
أين عنا إخطارنا (٨) المال والأنفس إذ ناعدوك يوم (٩) المحال
ونضالى فى جنبك الناس يرمو ن وأرمى وكلنا غير (١٠) آلى
فأصيب الذى تريد بلا غمش وأربى (١١) عليهمو وأوالى
ليت أنى أخذت حتفى بكفى ولم أذق ميتة الأقتال (١٢)
عملوا عملهم (١٣) لصرعتنا العا م فقد أوقعوا الرحا (١٤) بالثفال

فهو فى هذه الأبيات يذكر الملك بما قدمه له ، وأنه عرض نفسه وماله للمخاطر حين نهض لرد كيد الأعداء ، وأنه كان يناضل أعداء أقوياء ، وأنه كان ظافراً بهم ظاهراً عليهم ، ثم يتمنى أن لو كان أخذ حتفه بكفه بدل أن يموت ميتة الأعداء ، ولكن هؤلاء الأعداء كادوا كيدهم ونجحوا فيه

ثم ها هو ذا عدى يذكر للملك النعمان دخوله على كسرى يوم أراد أن يختبرهم ويعقد لأحدهم على الحيرة ، وكيف أنه كان يمالئ إخوته بقول ويبطن غيره ، وكيف أنه كان لا يدع خصمه يخالف ويعاند ، وكيف أنه لم ينكل ولم يحجم حين دخل النعمان على كسرى فى هذا اليوم العصيب :

وكنت لزاز (١٦) خصمك لم أعرد (١٧)
وقد سلكوك (١٨) فى يوم عصيب

(٧) بحقيقة الأنباء (٨) بذلنا المال والأنفس (٩) نهضوا (١٠) يوم الكريهة (١١) غير مقصر (١٢) أربى : زاد وفاق (١٣) جمع فعل وهو العدو (١٤) كادوا كيدهم

(١٥) الرحا معروفة . الثفال بالكسر : الجلد الذى يبسط تحت رحا اليد ليقى الطحين من التراب ، وقد يطلق الثفال على الحجر الأسفل من الرحا

(١٦) فلان لزاز فلان : لم يدعه يخالف ويعاند فهو لزنه وقاهره (١٧) أنكل وأحجم وأفر (١٨) أدخلوه

أعالهم وأبطن كل سر
كما بين اللحاء (١٩) إلى العسيب (٢٠)
ففزت عليهمو لما التقينا
بتاجك فوزة القدح (٢١) الأريب

وهذه أبيات يذكر فيها عدى النعمان بسعيه له وجهاده من أجله ، ويحذره أن يكون كالذى يداوى نفسه ، وبعد أن برئ ، عاد فأوهن نفسه وأمرضها . ومعنى هذا أن للنعمان بعدى قوة ، فلا يضعفن نفسه بحبس عدى أو قتله :

لا تكونن كآسى (٢٢) عظمه
بأساً (٢٣) ، حتى إذا العظم جبر
عاد بعد الجبر يبغى (٢٤) وهنه
ينحون (٢٥) الشى منه ، فانكسر
واذكر النعمى التى لم أنسها
لك فى السعى ، إذا العبد كفر

وما كان عدى يتوقع الشر من النعمان ، صهره ، وصديقه ، وشريكه فى السراء والضراء . وإذا كان الشر منه ، فإنه لا يجد له دفعا ، كالشرق بالماء ، فإنه لا يجد ما يعتصر به ، لأن الاعتصار يكون بالماء ، فإذا شرق الإنسان به ، فإنه يكون قد أتى من حيث يأمن ويرجو السلامة . وعدى صهر النعمان ، وقد كان حماد كاتباً للنعمان الأكبر ، وكان زيد ملكا على الحيرة قبل المنذر :

أبلغ النعمان عنى مألكا (٢٦)
أنه قد طال حبسى وانتظارى
لو بغير الماء حلقى شرق
كنت كالغصان بالماء اعتصارى (٢٧)

ليت شعرى عن دخيل (٢٨) يفترى
حيثما أدرك ليلى ونهارى

(٩) قصر العود (٢٠) جريد النخل اذا جرد من خوصه (يقول إنه يبطن السر ولا يبوح به كأنه بين العود وقشره) (٢١) القدح يسهم به ، الأريب: الفائز (٢٢) الآسى : المداوى (٢٣) بدواء (٢٤) ضعفه (٢٥) يطلبن (٢٦) رسالة (٢٧) الاعتصار : أن يمسك الانسان بالطعام فيعتصر بالماء ، وهو أن يشربه قليلا قليلا (٢٨) عدو